مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

# الخوارق في الطرق الصوفيّة
## بين التأييد والانتقـــــاد

تاريخ تقديم البحث:- ٢٠٢٥/٦/٥
تاريخ قبول البحث:- ٢٠٢٥/٦/٢٠

**د. محمّد العزيز بن زاكور (*)**

### الملخّص

يتناول المقال إشكاليّة الخوارق في الطرق الصوفيّة بين التصديق والتنديد، منطلقًا من تفكيك مفهوم الخارق في بعده الإنساني العام وسياقه الإسلامي الخاص. ويميّز بين المعجزة النبويّة المقترنة بالنبوّة، والكرامة الولائيّة المنسوبة إلى الأولياء. ويعرض مواقف المؤيّدين الذين يعدّون الكرامات دلائل ولاية وصلاح، مستندين إلى الموروث المناقبي وتراث الطرق الصوفيّة. في المقابل، يبرز اعتراض الفقهاء وبعض الصوفيّة الإصلاحيين ورجال النهضة الذين رأوا في كثير من الخوارق بدعًا أو استدراجًا أو شعوذة تناقض جوهر الشريعة. كما يبيّن أنّ الظاهرة ذات امتداد إنساني وثقافي عام، غير أنّ تضخّمها في المجال الطرقي أفرز جدلًا عقديًّا واجتماعيًّا واسعًا. ويخلص إلى ضرورة مقاربة علميّة متوازنة تفرّق بين الكرامة الصادقة والانحراف الخرافي، حفاظًا على نقاء التصوّف وروحه الأصيلة.

**الكلمات المفتـــــاحية:** التّصوّف،الخوارق، المعجزة، الكرامة، الشعوذة،الطّرق، الولـــيّ

### مقدمة

إنّ هذا العنوان المتعلّق بخوارق العادات في الطرق الصوفيّة على وجه الخصوص يثير مجموعة من التساؤلات تتعلّق أوّلا بمعنى الخوارق في سياق حضاري ثقافي عامّ لعلّه يكون مدخلا وبوّابة للولوج في صلب هذا الموضوع ومعالجة هذا الإشكال في إطار مخصوص وسياق دقيق وهو سياق التّصوّف الاسلامي وبالتحديد التّصوّف الطرقي، فهل أنّ الخوارق التي كثيرا ما تجلّت في الطّرقية الصوفيّة حقيقة ويقين؟ أم هي وهم وخيال؟ وهل هذه الخوارق منن وكرامات ربّانيّة

(*) تونس azizbenzakour951@gmail.com

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**
**Info@baytalhikma.iq**

أم هي طلسمات وضلالات شيطانيّة؟ وهو ما يسوقنا إلى طرح سؤال ثالث : لمَ انقسم دارسوها من أهل البحث وأرباب السلوك وعلماء الظاهر بين مصدّق مؤيّد ومناهض مندّد؟ ولعلّ بعضا من هذه التّساؤلات قد نهتدي بها في خاتمة بحثنا إلى رفع شيء من الالتباس وإيجاد منافذ لبعض الإجابات، وبذلك يتناول هذا المقال مسألة الخوارق في الطرق الصوفيّة بوصفها ظاهرة شغلت الحقل الديني والاجتماعي في المجتمع الإسلامي متأرجحة بين التصديق الروحي والرفض الفقهي أحيانا والعقلي أحيانا أخرى، وسيكون منطلق البحث تفكيك مفهوم الخارق بين الدلالة الكونية العامّة والدلالة الإسلاميّة الخاصّة محاولا التمييز بين المعجزة النبويّة والكرامة الولائيّة، ويوازن المقال بين مواقف المؤيّدين الذين يرون في الكرامات والخوارق دليلا على الولاية والصلاح والمنتقدين من رجال دين ومصلحين ممّن اعتبروها ضربا من البدع والخرافة والشعوذة والانحراف عن جوهر الشريعة.

أمّا في ما يتعلّق بالمنهج المعتمد في هذا المقال فقد تراوح بحسب ما تطلّبه البحث بين منهج تحليلي يقوم على تفكيك المفاهيم الأساسيّة كالخوارق والمعجزة والكرامة علاوة على حضور المنهج المقارن من خلال المقارنة بين مواقف الفقهاء ورجال الإصلاح من جهة أولى وأتباع الطرق الصوفيّة من جهة ثانية دون غياب المنهج النّقدي سعيا لنقد المرويّات المناقبيّة على وجه الخصوص.

وليكن بدأنا بمحاولة تحديد هذه الظاهرة الخوارقيّة التّي يصحّ نعتها بالظاهرة الخوارقيّة الإنسانيّة على وجه العموم :

**الخوارق ظاهرة إنسانيّة عامّة**

الخارق أو الخارقة أو الظواهر الخارقة للطبيعة هي دون ريب ظواهر موجودة وموصوفة في مختلف الحضارات والثقافات والمجالات قديما وحديثا وقد وُصف وجودها بأنّه يتجاوز التّجربة والتفسير العلمي المألوف وظهر في العصر الحديث علم الخوارق ويسمّى أيضا :

الباراسيكولوجي Parapsychologie[1]: أو علم ما وراء الطبيعة، ويختلف هذا العلم عن بقيّة العلوم التي تعتمد على أسس وثوابت علميّة منطقيّة مألوفة، فهو مرتبط بظواهر خارقة ولا ترى بالعين المجرّدة ويعتمد هذا العلم على حواس إضافيّة تتجاوز الحواس الخمس، وأساس هذا العلم امتلاك الإنسان طاقة غير مرئيّة يدركها عقله الباطن فقط [2]، ويدرس هذا العلم القدرات الخارقة الكامنة والمخفيّة لدى الإنسان والتي عن طريقها يصبح قادرا على التّحكّم في ما يعجز الإنسان العادي على التّحكّم فيه، ومن قدرات التحكّم الكامنة : قدرة تحريك الأشياء دون استخدام أعضاء الجسد البشري، وقدرة التّحكّم في النار وقدرة التّخفّي عن الأبصار وقدرة الارتفاع عن سطح الأرض والقدرة على التّواصل

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

مع مخلوقات أخرى وغيرها من القدرات الأخرى.

وفي سياق عرض عديد من المواقف العلميّة المعاصرة إزاء الخوارق يذهب الباحث الأمريكي مايكل شيرمر Mechael Shermer [٣]، إلى أنّ ميل الإنسان لتفسير الظواهر الغامضة بالخوارق ينبع من حاجاته النفسيّة للمعنى والنظام ويرجعه إلى ما يسمّيه : «الإدراك الزائف للأنماط» [٤].

بينما يعرّف عالم النفس دين رادين Dean Radin [٥] ،الظواهر الخارقة بأنّها «تجليات لوعي غير محدود تحاكي قوانين الكمّ أكثر ممّا تحاكي الفيزياء الكلاسيكيّة [٦]، ومعنى هذا الكلام أنّ هذه الظواهر لا يمكن تفسيرها بسهولة وفق قوانين منطقيّة سببيّة واضحة كما هو الحال في الفيزياء الكلاسيكيّة بل إنّها تحتاج إلى منطق احتمالي غير حتميّ كما هو الشأن في ميكانيكا الكمّ التي تقوم على الاحتمال وعدم اليقين، ويستعرض رادين Radin في كتاباته دلائل تجريبيّة عديدة تؤيّد وجود الخوارق.

وأمّا من المنظور الأنتروبولوجي فيوضّح باسكال بوير Pascal Boyer [٧] كيف أنّ المعتقدات الخارقة تنشأ ضمن منظومة الثقافة والتنشئة الإدراكيّة لا سيّما حين تكون مدعومة بطقوس جمعيّة تعزّز الإيمان بها، وتؤكّد أغلب هذه الدراسات أنّ الخوارق ليست مجرّد خرافات معزولة بل تمثّل نموذجا إنسانيّا عاما لمحاولة فهم ما يتجاوز إدراك الحواس والعقل المنطقي، وتتجلّى بطرق متنوّعة بحسب البنية الثقافيّة والمعرفيّة للمجتمعات [٨]، ولا يكاد هذا الجانب الخوارقيّ يغيب في الحضارة العربيّة الإسلاميّة ولا سيّما في السياق الميثولوجي الديني متجليّا في مصطلحين اثنين هما : المعجزة والكرامة.

## الخوارق في السياق الإسلامي : المعجزة والكرامة

في سياق الحديث عن الخوارق من منظور ديني إسلامي يعرّفها عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمة تاريخه عند حديثه عن أصناف المدركين الغيب من البشر بالفطرة أو بالرياضة والذي تقدّمه الكلام في الوحي والرؤيا فيقول : "هي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميّت بذلك مُعجزَة وليس من جنس مقدور العباد وإنّما تقع في غير محلّ قدرتهم"[٩].

لقد تحدّث ابن خلدون عن الخوارق وعرّفها في سياق ديني وبالتّحديد عند تعريفه المعجزة التي هي من علامات نبوّة الأنبياء وممّا هم مخصوصون به دون غيرهم، والمعجزة دالّة على ما هو خارق للعادة وليس بإمكان البشر القيام به وهي موصولة بالتّحدي ولذلك كان التّحدي جزءا منها حسب علماء الكلام [١٠]، خلافا للحكماء فالخارق عندهم يقع للنبيّ سواء أكان للتّحدي أو لم يكن [١١]، والمعجزات في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقّاه النبيّ ويأتي بالمعجزة شاهدة على صدقه ومثال ذلك أنّ انجيل عيسى ليس بالكتاب المعجز

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**
**Info@baytalhikma.iq**

الخارق العادة ولكنّ المعجزة جاءت بصدق عيسى جاء في سورة أل عمران : " وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [١٢]. أمّا القرآن فهو بنفسه الوحي المدّعى وهو الخارق المعجز الذي يعجز البشر وسائر المخلوقات عن الإتيان بمثله، جاء في سورة الإسراء : " قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " [١٣]. وبختم النبيّ محمّد سلسلة الأنبياء والمرسلين وبقاء القرآن معجزة خالدة تتحدّى الأوّلين والآخرين بقيت بعض الخوارق ظاهرة في المجال الصوفي على يد بعض الناس ممّن لقّبوا غالبا بالأولياء والصالحين غير أنّ خوارقهم هذه لم تخصّ باسم المعجزة حتى لا يلتبس الأمر بين النبيّ والوليّ وإنّما خُصّت باسم الكرامة التي عرّفها الجرجاني في التّعريفات بقوله : «الكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوّة» [١٤]. وقد حاول العلماء التّفريق بين المعجزة والكرامة حتّى لا يشتبه الأمر بين الوليّ والنبيّ سيّما وأنّ كلاّ من المعجزة والكرامة مشتملان على خرق العادة والإتيان بالمعجز من الفعل وإنّ الفرق في التّسمية لا يكفي لوضع الحدّ بين هاتين الظاهرتين فقد كان الإمام أبو إسحاق الإسفراييني [١٥] يقول : «المعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوّة لا يوجد مع غير النبيّ» وكان يقول : الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء فأمّا جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا [١٦]. ففي هذا التّعريف محاولة التفريق بين الكرامة والمعجزة على أساس أنّ الثانية أخرق للعادة من الأولى وهو ما يؤيّده ما جاء في مقدّمة ابن خلدون من أنّ خوارق الوليّ أي كراماته غير كبيرة ومنها تكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل وأمثاله أمّا خوارق النبيّ فهي عظيمة كبيرة ومخصوصة كالصعود إلى السماء وإحياء الموتى وتكليم الملائكة والطيران في الهواء والولي لا يقدر على مثل هذه الخوارق، وقد قرّر ذلك المتصوّفة في ما كتبوه في طريقتهم ولقّنوه عمّن أخبرهم» [١٧] ومن الفروق التي أقرّها الإمام القشيري في الرسالة القشيريّة في التّصوّف بين المعجزات والكرامات أنّ الأنبياء مأمورون بإظهارها والوليّ يجب عليه سترها وإخفاؤها والنبيّ يدّعي ذلك ويقطع القول به، والوليّ لا يدّعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا [١٨] وينتهي القشيري إلى فرق يعتمده ويدين به وهو أنّ جلّ شرائط المعجزة توجد في الكرامة من خرق للعادة وإتيان بالمعجزة إلاّ شرطا واحدا وهو اقتران دعوى النّبوّة بالمعجزة وهو أمر محال على الوليّ غير جائز له [١٩] وبذلك تكون المعجزة خاصّة بالأنبياء والكرامة لدونهم من الأولياء الذين أشعّوا في المجتمعات الإسلاميّة مشرقا ومغربا متمثّلين في أغلب الأحيان في شيوخ التربية الصوفيّة الذين انضمّ إليهم أتباع من مختلف

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الفئات الاجتماعيّة سالكين طريق التّصوّف راغبين في الارتقاء إلى أعلى مقاماته.

**الطرق الصوفيّة وترسيخ الإيمان بالخوارق**

لا تكاد تغيب في كتب المناقب أخبار كرامات شيوخ الطرق الصوفيّة بل إنّ هذا الصنف من المؤلفات إنّما يعنى بتوثيق كرامات الأولياء إلى جانب ذكر سيرهم وأخلاقهم، ولذلك تجمع هذه الكتب بين التراجم والتأريخ والتّوجيه الأخلاقي وتندرج ضمن أدبيات التقديس والتمجيد لما تشتمل عليه من أخبار مليئة بالخوارق راشحة بالعجيب والغريب من الكرامات ولقد ساهم التّصوف الطرقي في ترسيخ الإيمان بهذه الكرامات، وبعد أن كان التصوف نخبويّا يعكس تجربة روحيّة وجوديّة فردية تحوّل في فترات متأخرة إلى تصوف جماعي وقد كان ذلك بعد أن وطّنه الغزالي (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م) في العالم السنّي وجبر الكسر بينه وبين الشّريعة معتبرا أنّ التّصوّف يتمثّل في قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإقبال بكنه الهمّة على الله تعالى، كما بيّن قيمة المعرفة الصّوفيّة معتبرا أنّها العلم الذي أشار إليه القرآن والذي يبلغه سالك الطريق الصوفي بتطهير باطنه من أمراض القلوب وصقله بالطاعات واتباع أوامر الشريعة الإسلاميّة حتّى إذا سمت النّفس عن الخبائث وسلِمت من الأدران زال عنها الحجاب وانكشف لها العلم من اللّوح المحفوظ [٢٠]. وقد تحوّل التّصوّف انطلاقا من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إلى طرقية بكلّ ما تحمله من آثار إيجابيّة وسلبيّة فمن إيجابيّاتها التأطير الناجح لفئات اجتماعيّة متعدّدة في مجتمع عرف تفكّكا سياسيّا وانحصر إشعاع العلماء فيه على الحواضر دون المدن فتصدّرت الزوايا الطرقيّة في أغلب الأحيان لإيواء المحتاجين وإطعامهم وتلقين العديد من الناشئة مبادئ الثقافة الإسلاميّة كما ساهمت هذه الزوايا الطرقيّة في كثير من الأحيان في التّصدّي للغزو الأجنبي وهو أمر قد امتدّ من تصدّي رجال الرباطات للحملات الصليبيّة في فترات متقدّمة من التاريخ وصولا إلى العصر الحديث حيث ساهمت بعض الطرق الصّوفيّة في مجابهة المستعمر الأجنبي كما هو شأن الأمير عبد القادر مع الاستعمار الفرنسي في الجزائر وشأن الطريقة السنوسيّة في ليبيا مع الاستعمار الإيطالي [٢١] غير أنّ للتّصوّف الطرقي وجها حالكا غير مشرق هيّأه لأن يكون العدوّ اللدود لحركات الإصلاح في المجتمعات الاسلامية ويتمثّل هذا الوجه في إسهام الطرقية بصورة جليّة في نشر روح الخنوع والتّقاعس عن صالح العمل والمبالغة في الإيمان بالخوارق والكرامات المنسوبة إلى الأولياء والصالحين ويعود ذلك اساسا إلى انتشار الطرق الصوفيّة في الأوساط الشّعبيّة و في عامّة العامّة من الناس فاعتنق الطرقيّة جلّ أفراد المجتمع صغارا كبارا رجالا نساءً جهلة ومتعلّمين، محترزين من ذلك المثل الشعبي الذي صار دارجا على كلّ الألسنة : «إنّ من لا طريقة له فطريقته شيطانيّة» [٢٢] وبهذه الحشود الشعبيّة الكبيرة في

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**
**Info@baytalhikma.iq**

مجال التصوف الطرقي الذي يولي المنتسبون إليه هذه الخوارق والكرامات مكانة كبرى سنقف أمام شقّين متقابلين : شقّ معتقد مؤيّد وآخر منتقد منددّ:

١ – الشقّ المؤيّد (العامّة والمدّعون)

لقد أصبح الاعتقاد في كرامات الأولياء والصالحين وخوارقهم جزءا لا يتجزّأ من العقيدة الإسلاميّة وركائز الإيمان، فجاء في كتاب «بغية المريد لجوهرة التّوحيد» وهو كتاب مقرّر لتدريس علم العقيدة بجامع الزّيتونة في بدايات القرن العشرين قول الناظم «إبراهيم اللقاني» في منظومته في علم التّوحيد :

**وأثبتَنْ للأولياء الكرامة ومَنْ نفاها فانبِذنْ كلامه**

ويقول الشيخ إبراهيم المارغني المفتي المالكي في شرح هذه البيت :»أي اعتقد وجوبا ثبوت الكرامة للأولياء بمعنى جوازها ووقوعها لهم في الحياة وبعد الموت «كما ذهب إليه جمهور أهل السنّة»[٢٣] وتجاوز تداول أخبار الأولياء والصالحين والحديث عن كراماتهم إلى تحبير مصنّفات في هذا الشأن هي المصنّفات المنقبيّة السالف ذكرها والتّي قد يختلط الواقع فيها في كثير من الأحيان بالأسطورة ذلك أنّ للنصّ المنقبيّ ينفتح على حدث ما و يصوغه في قالب يتعارض مع المنطق ويجانب الحقيقة ممّا جعل بعض دارسي علم التاريخ من المحدثين يتساءلون عن إمكانيّة إقصاء المنقبة عن مجال اختصاص التاريخ بدعوى إغراقها في رسم نطاق التهويمات والكرامات وتشويه الحدث التّاريخي ؟ [٢٤]، فمن الأمثلة المحيّرة على هذه الخوارق العظمى ما ورد في مخطوط مناقب السيّدة عائشة المنّوبيّة (ت ٦٦٥ ه/ ١٢٦٦ م) (التي كانت من النساء المجذوبات السائحات بالغات الحسن والجمال، وقد صحبت لمدّة طويلة الإمام أبا الحسن الشاذلي ولذلك تنتسب إلى الطريقة الشاذليّة.)، ورد قول المؤلّف مجهول الهويّة : « حدّثني من أثق به قال له كنت جالسا حذو سيّدتي عائشة يوم الجمعة يوم النصف من رجب وإذا بالشيخ سيدي عثمان الحدّاد فقالت لي يا عثمان نحبّو الليلة نصلّوا كذا في مكّة شرّفها الله تعالى فقمنا وطلعنا الجبل المعروف بسيدي ماضي وزرنا الشيخ عبد السلام وقالت : «إقرأ يا عثمان سورة يَس والفتح والواقعة وتبارك الملك وآيات الكرسي وإنّا أنزلناه في ليلة القدر قال فقرأ قالت غمّضوا كذا أبصاركم قال فغمّضنا أبصارنا وإذا نحن في مكّة وقائل يقول : «السّلام عليك يا سيدتي عائشة يا منّوبيّة» [٢٥] إنّ هذه الخبر في النصّ المنقبي يصل بالوليّة إلى حدّ القدرة على طيّ الأرض وقطع المسافات الطوال في غمضة عين، ولئن كان بعض العوام يعتقدون صراحة في هؤلاء الصالحين الذين يقطعون مائات آلاف الكيلومترات في لحظة واحدة فإنّ الخوارق في بعض الطرق الصّوفيّة تبلغ حدّا أكبر من ذلك يتجاوز المنقول من نصوص الشريعة أيضا، ففي الآية القرآنيّة يخاطب الله نبيّه محمّدا مؤكّدا حتميّة موته بقوله : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [٢٦].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

كما يخاطب النّاس بقوله: « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ«[٢٧].

إنّ إمكانيّة رؤية هذا الرسول الأكرم في المنام واردة وهي منّة من الله لعباده الصالحين والدليل على إمكانها قول الرّسول محمّد في الحديث النّبوي : «مَنْ رآني في المنام فقد رآني حقّا فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي» (٢٨)، غير أنّ الأمر الخارق العجيب الذي لا نجد له سندا نقليّا هو أن يصرّح الولي رؤية الرّسول محمّدًا يقظة لا منامًا فيلقّنه أذكار الطريقة، لقد ذكر الشيخ علي حرازم في كتابه جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيّدي أبي العبّاس التجاني،أنّ الشيخ أحمد التجاني خرج سنة ١١٩٦ه/ ١٧٨١م من تلمسان فقضي له بالفتح فرأى رسول الله يقظة لا منامًا وعيّن له الورد مائة من الاستغفار ومائة من الصلاة عليه وأمره بتلقينه لكلّ من طلبه من المسلمين والمسلمات وقال له لا منّة لمخلوق عليك من مشامخ الطرق فأنا واسطتك وممدّك على التحقيق فاترك عنك جميع من أخذت من الطرق[٢٩]. إنّ هذه الرؤية في عالم اليقظة لا في عالم الحلم في اعتقاد أهل الطريق كرامة خارقة من أكبر الخوارق وأشرفها يعجز العقل دون أدنى شكّ تمثّل كيفيتها وتصوّر حقيقتها وقد يراها البعض حلما في اليقظة قائما على استحضار صورة نورانية مجرّدة لهذا الرسول الأكرم دون أن نغفل عن كون الشيخ أحمد التجاني من المعتقدين في الحقيقة المحمّدية [٣٠] المعتبرين أنّ الرسول محمّدا قبضة من نور الله خلقها قبل خلق آدم عليه السلام و لاتزال هذه القبضة النورانية متنقلّة من نبيّ إلى نبيّ إلى أن حلّت في صورة محمّد عليه السلام ومصداق ذلك التصلية التي جاءت في جوهرة الكمال للشيخ التجاني القائل فيها «اللهّم صلّ على عين الرحمة الربانية والياقوتة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونورك اللاّمع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني» [٣١] غير أنّ هذه الخارقة تتمثل في اعتقاد الولّي أنه قد عاين رسول الله محمّدا لا تسلم من سهام نقد الفقهاء وأرباب الشريعة فهذا شيخ الإسلام تقيّ الدين أحمد بن تيميّة (ت ٧٢٨ه/ ١٣٢٨م) يقول مستنكرا ما عدّه ظنّا لطوائف من جهّال العبّاد :»وكثير منهم رأى من ظنّ أنه نبيّ أو رجل صالح أو الخضر وكان شيطانا» وقد ثبت في الصحيح عن النبيّ أنّه قال:» من رآني في المنام فقد رآني حقّا فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي فهذا في رؤية المنام لأنّ الرؤية في المنام تكون حقّا ولاتكون من الشيطان فمنعه الله (الشيطان) أن يتمثّل به في المنام وأمّا في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدّنيا فمن ظنّ أنّ المرئيّ هو الميّت فإنما أُتي من جهله ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان» [٣٢]، لكن مع ذلك ورغم هذا الخلاف الحادّ الذّي كثيرا ما نجده قائما بين أهل الحقيقة السّكارى بخمرة القرب واللاّهجين أثناء شطحاتهم الصوفية بما لا يرضي حرسة الدين من الفقهاء يبقى هؤلاء الأولياء لاهجين برؤية النبيّ محمّد والتحادث معه والأخذ

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**
**Info@baytalhikma.iq**

عنه مثل الإمام أبي الحسن الشاذلي الذي يجزم أنّه

قد تلقّى حزب البحر وهو دعاء مشهور من أدعيته عن رسول الله محمّد [٣٣] وكثيرا ما يصّرح برؤية الخضر عليه السلام مع تعيين مكان اللقاء بدقّة وذكر فحوى المحادثة [٣٤] والناس في هذا الشأن صنفان: إمّا معتقد وإماّ منتقد، فالمعتقد يلحق ما إدّعاه الولي بباب الكرامة، مستحضرا قول الإمام البوصيري في همزّية مديحه النبويّ :

والكراماتُ منهمُ معجزاتٌ حازها من نوالك الأولياءُ [٣٥]

وأمّا المنتقد فيلحق هذه الادّعات بالأوهام والتخيلات والضّلالات ويرى فيها خروجا عن سواء الصّراط وجادّة السبيل. لكن المحيّر فعلا في الطرق الصوفية إذا تجاوز ادّعاء الخوارق أقوالا مثل رؤية الرسول يقظة والتحدّث مع الخضر عليه السلام إلى أفعال مادّية مرئية بالعين مدركة بمختلف الحواس كالتي تصاحب طقوس العديد من الطرق الصوفية أثناء التئام حلقات أذكارهم حيث تعلو أصوات المنشدين وتشاهد اهتزازات الراقصين وتضطرب الأرواح في أقفاصها تصرخ وجدا وشوقا فيظهر الغريب المعجز من جديد لكنّه على مرأى الناظرين، وتتباين المواقف مجدّدا فيقول أصحاب الطريقة إنّها الكرامة التي تمتدّ حتى بعد وفاة الشيخ ويقول المنتقدون إنّها الطّلاسم والتمويهات وعين مخالفة الشريعة، ففي القرن الثامن الهجري انتشرت زوايا الطريقة الرفاعية في العراق انتشارا منقطع النظير ومؤسّس هذه الطريقة هو الشيخ أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨ه/ ١١٨٢ م) [٣٦]، وقد زار الرحّالة

ابن بطّوطة [٣٧] قبر الولي أبي العبّاس أحمد الرفاعي بمدينة واسط بالعراق كما زار رباطا عظيما فيه آلاف من الفقراء الرفاعيين وحضر مجلس ذكر عقدوه ابتداء من صلاة العصر ثمّ أخذوا في السّماع معدّين أحمالا من الحطب فأجّجوها نارا ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يتمرّغ فيها ومنهم من يأكلها بفمه حتىّ أطفؤوها جميعا وكان هذا دأبهم [٣٨] ويضيف بن بطّوطة قائلا وهذه الطائفة الأحمدية (نسبة إلى أحمد الرفاعي) مخصّصون بهذا وفيها من يأخذ الحية العظيمة فيعضّ بأسنانه على رأسها حتى يقطعه [٣٩]. وقد تفرّعت عن الطريقة الرفاعية طرق صوفية أخرى لعلّ أهمها الطريقة العيساوية [٤٠] التي يعتبرها الكثير من الدارسين فرعا من الرفاعية المنتشرة في المشرق العربي، ووجه الشبه كبير بين كلتا الطريقتين ولا سيّما في ما يتعلّق بالقبض على الحديد المحمّي وازدراد الأفاعي والعقارب والإتيان بالخوارق، وهو أمر قد ساء العديد من المصلحين ورجال الدين الذين مثّلوا شقّا ثانيا هو شقّ المناوئين.

٢- الشقّ المندّد

لقد لقيت هذه الطرق في تونس على سبيل المثال وبالتحديد في بدايات القرن العشرين انتقادات

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

كبيرة من لدن بعض رجال الإصلاح بجامع الزيتونة على وجه الخصوص، من اعتبروا أنّ هذه الخوارق ضرب من الإيهام والتمويه والشعوذة لا علاقة لها بأصل التصوّف وجوهر الدّين لكن الملاحظ البسيط لهذه الأعمال الخارقة التي يأتيها أصحاب الطرق يحتار في أمره لأنها ليست وهما بل هي عين الحقيقة، فيجيب المنتقدون المناوئون لها بأنّها ممارسات شيطانيّة يستعين فيها هؤلاء بقوى شيطانية، ذكر العلاّمة بن خلدون في المقدّمة أنّه التقى بالمغرب الأقصى صنفا من المنتحلين الأعمال السحرية يعرفون باسم البعّاجين وذكر أنهم يشيرون إلى الكساء أو الجلد فيتخرّق ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فينبعج ويسمّى أحدهم لهذا العهد باسم البعّاج لأنّ أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام والبعج هو الشقّ [٤١] ويصرّح ابن خلدون بأنه قد لقي منهم جماعة وشاهد من أفعالهم هذه بذلك وأخبروه أنّ لهم وجهة ورياضة خاصّة بدعوات كفريّة وإشراك لروحانية الجنّ والكواكب وأنّ بهذه الرياضة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم [٤٢] ويعلّق ابن خلدون على هذا الضرب من السحر المنكر بقوله وأمّا الشريعة فلم تفرّق بين السحر والطلسمات والشعوذة وجعلته كلّه بابا واحدا محظورا (٤٣) لا شكّ في أنّ الصلة من التحريم متمثلة في إذاية الناس والإضرار بهم، أمّا أتباع الطريقة العيساوية فيتناقلون خبرا منقبيّا مفاده أنّ الإمام محمد الهادي بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية خرج مسافرا في الصحراء صحبة مريديه ونفد ما لديهم من طعام فأمرهم بأن يأكلوا ما يجدوه في الصحراء من سموم وأشواك وحشرات وزواحف دون أن يلحقهم بإذن الله أذى وكان الأمر كذلك وثبتت للشيخ الكرامة.

جاء في إحدى مدائح الطريقة العيساويّة المصاغة في لهجة مغربية دارجة ما يشير إلى هذه الكرامة بقول الناظم :

انظر يالإنسانْ
هذا هو السرّ المختومْ

بن عيسى سلطانْ يا بابا طاعتلو
كل سموم [٤٤]

غير أنّ رماح الانتقاد قد كانت مسلّطة على هذه الطريقة بالأساس في تونس في بدايات القرن العشرين ومن أهمّ من تصدّروا هذه الانتقادات الشيخ محمد شاكر وهو فقيه وأديب وشاعر تونسي عاد بعد تخرّجه من جامع الزيتونة إلى مسقط رأسه بصفاقس وكان متحاملا على الطرق الصوفية و لاسيّما على الطريقة العيساوية لما رأى فيها حسب رأيه من أباطيل وشعوذة فرُفعَ أمره إلى المجلس الشرعي وصدر أمر ملكي بعزله عن التدريس وتجريده من شهادته سنة ١٩٠٢م بدعوى" تطاوله على أولياء الله الصالحين" [٤٥].

أما الشيخ عبد العزيز الثعالبي فقد خصصّ في كتابه روح التحرر في القرآن قسما هامّا عبّر فيه عن عدائه للطرق الصوفية والزوايا معتبرا إيّاها مظهرا

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**
**Info@baytalhikma.iq**

من مظاهر الشرك وضربا من ضروب الخروج عن أصل الشريعة الإسلامية [٤٦] وقد حكم عليه أيضا بالسجن بتهمة الإساءة إلى رجال الله الصالحين، دون أن نغفل على الشيخ عثمان بن المكي التوزري المتوفي سنة ١٩٢٩ م صاحب تأليف المرآة لإظهار الضلالات الذي خصص الفصل الثالث منه للحديث عن التّشبّه بالصالحين وأشار فيه إلى ما سماه بدع المتصوّفة ومنها بدعة ادّعاء الكرامات وبدعة لبس المرقّعة وبدعة أخذ العهد وبدعة

الأقطاب والأبدال متسائلا في آخر الفصل : هل شيخ التّربية ضروري أم لا؟ منتهيا إلى ضرورة التفريق بين شيخ العارف الصادق والشيخ الجاهل الدجال وقد حاكى في هذا الكتاب ابن الحاج في كتاب المدخل الذي كان زاخرا بتصوير أنواع البدع والانحرافات المختلفة السائدة في المجتمع الإسلامي ومنها المتعلّق بالصّوفيّة وعمد إلى انتقادها من وجه نظر الشّرع [٤٧].

وإذا رمنا الإحاطة على وجه العموم بهذه المواقف المعارضة لتلكم الخوارق فإنّه بإمكاننا تصنيفها على هذا النحو : أولها معارضة الفقهاء، ثانيها معارضة الصوفية ذواتهم وثالثها معارضة رجال الإصلاح.

**معارضة الفقهاء**

لقد واجه التصوّف على وجع العموم معارضة من لدن الفقهاء منذ قديم العهود وقام بين الصوفية والفقهاء صراع بلغ أوجه واشتدّ احتدامه بمقتل أبي منصور الحلاج سنة ٣٠٩ هـ [٤٨] لكن مظاهر هذه المعارضة متعددة فمنها ما هو متعلق بالمعتقد ومنها ما هو متعلق بالسلوك والممارسات، وفي سياق هذه المعارضة الفقهية لهذا الجانب الخوارق لا يمكن أن نتغاضى عمّا كتبه ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ ) في كتابه تلبيس إبليس الذي أفاض في الباب العاشر منه على وجه الخصوص الحديث عن تلبيس إبليس على الصوفية من جملة الزهاد وعبّر عن رفضه الشديد لما رآه من بدع معتبرا أنها من تلبيسات الشيطان [٤٩] .

كما انتقد ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ ) الخرافات المرتبطة بالخوارق وإن كان قد ميّز بين التصوف الصحيح والتصوف المنحرف فقبل الأول وهاجم الثاني ويتجلى ذلك في فتاواه ولا سيما في كتابه : «الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان» [٥٠].

وأمّا الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) وهو من أشهر فقهاء المالكية وعلماء الوصول والمقاصد بالأندلس فقد ندّد بدوره في كتاب «الاعتصام « بالبدع التي أدخلها بعض المتصوفة ضمن المجال الديني وهو أمر يؤدي إلى انحراف الأمة عن صراط الله المستقيم [٥١].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

**معارضة الصوفية**

لقد تميّز المتصوفة العارفون منذ عهود متقدّمة بالحرص على الجمع بين علمي الشريعة والحقيقة ودعوا إلى عدم الاغترار بالخوارق والكرامات محذّرين من مغبّة الحيد عن جادّة الصدق ومجانبة طريق الحق كما حرصوا على تنقية التصوف ممّا شابه من بدع وضلالات، فهذا أبو يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ) أحد أعلام الصوفية الأوائل يقول : «لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة[٥٢].

وأمّا الشيخ أحمد زروق (ت ٨٩٩ هـ) وهو من كبار منظّري التصوف السنّي في الغرب الإسلامي فإنه وإن لم يدْع في كتابه «قواعد التصوف» إلى نبذ الإيمان بالخوارق بصورة مطلقة لكنه تعامل معها تعاملا دقيقا يقوم على التمييز بين الخارق المقبول والخارق المردود مشددا على الاستقامة مقدمة على الكرامة وأنّ معيار صدق الولي حسب الشيخ زروق هو التزامه بالشريعة وليس ادعاؤه الخوارق، يقول الشيخ احمد زروق في القاعدة السابعة والأربعين بعد المائة : «من ظهرت عليه خارقة تقتضي ما هو أعمّ من كرامته نظر فيها بفعله فإن صحّت ديانته معها فكرامة وإن لم تصحّ فاستدراج أو سحر» [٥٣]، وتبعا لذلك فإن الشيخ أحمد زرّوق لم ينكر إمكان وقوع الكرامات والخوارق وإنّما أمكن الغلوّ فيها أو جعلها غاية في السلوك الصوفي فكان منهجه تصحيحا لمسار التصوف وإعادة توجيهه نحو التوازن والتوافق بين الشريعة والحقيقة وعدم الاغترار بالكرامة وهو موقف النزهاء من الصوفية من كانوا يلحّون على أنّ الكرامة بالمعنى الخارق لا تطلب لذاتها ولا يحقّ للولي إظهارها أو التباهي بها، ومنها كما قال الإمام علي أبو الحسن الشاذلي : ما يظهر على الأبدان من طيّ الأرض والمشي على الماء وغير ذلك مما لا يجري تحت حكم العادة... وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها ولا من تحدّثه نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها إنّما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بمحابّ الله ناظر لفضل الله آيس من نفسه وعمله [٥٤].

ج- معارضة رجال الإصلاح

لقد عرفت المجتمعات الإسلامية في القرون المتأخرة عديد الحركات الإصلاحية (الدينية على وجه الخصوص) ومن أهمّ الميادين التي شغلت بال مصلحيها ميدان العقيدة التي سعوا إلى تصفيتها من الشرك الخفيّ ومن المعتقدات المنحرفة والخاطئة ومن جملتها ما هو متعلّق بالأولياء والصالحين ومقرّات زواياهم وتكاياهم التي أصبح العديد منها مرتعا لممارسات منحرفة عن نهج الشريعة ومن جملتها فرط الاعتقاد في هذه الخوارق ومحاولة الإتيان بها في المجالس والمواعيد ضمن طقوس هذه الزوايا، ولعلّ أشهر هذه التيارات الإصلاحيّة تلك التي ظهرت على يد محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) وجمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٤ هـ) ومحمد عبده (ت ١٣٢٤

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**
**Info@baytalhikma.iq**

هـ) ولئـن كان كلّ مـن الأفغاني وعبده يشـتركان في نفـس الأهـداف الإصلاحية تقريبـا ومن جملتها إصـلاح التصـوف وتنقيته مـن الخرافـات والبدع فـإنّ الحركة الوهابيّة قد كانت أشـدّ هـذه التيارات بأسا في التصدي للتصوّف الطرقي إلى حدّ المقاومة والمقارعة برفع السـلاح، وقـد ظهرت حركة محمد بـن عبد الوهاب في المـشرق العربي في أواخر القرن الثامن عـشر الميلادي ويمكـن تلخيصها في دعوته إلى التوحيـد الخالـص ونبذ البدع وتحطيـم ما علق بالإسـلام من أوهام، وقد لقيت هذه الدعوة سـنة ١٧٤٤ م مـن أمـير نجـد محمـد بن سـعود مؤازرة كبـيرة كما آزرها من بعده ابنه عبد العزيز ثمّ سـعود بن العزيز وقاتلوا من خالفهم العقيدة (٥٥).

وبذلـك نخلـص إلى أنّ التصـوف الطرقـي عمومـا قـد كان ولا يـزال محـلّ انتقـاد عديـد الاتجاهـات الدينيـة وأنّ مسـألة الخـوارق في التصـوف كانـت بدورهـا تسـتبطن لـدى هـؤلاء خطـر الانحراف عـن جوهر التصـوف الحقّ، وقد بيّنـت في هذه الدراسـة أنّ الظواهـر الخوارقيّة هي ظواهـر إنسـانيّة على وجه العموم وليسـت جديدة في المجتمعات الإسـلاميّة ولكنّها امتداد تاريخيّ في المتخيّـل الديني الإسـلامي إلا أنّ تبايـن القراءات الفقهيـة والعقلانيـة مـن جهـة والطرقيـة الصوفية من جهـة ثانية جعل منها موضوعا دائم التجاذب، وقد احتملت قراءتين متباينتين مختلفتين : إذ تعدّها الأولى دعما من الله للولي في الحياة وبعد المماة فيدافع عنهـا الصوفية ويضعونها في بـاب المعتقد الواجب الإقـرار به ويبالغ العامّة من الناس في التمسّـك بها إلى حـدّ تسرّب العديد مـن الافتراءات والأكاذيب والتهويـلات لحقيقة هذه الكرامـات وهو ما نجده في كتب المناقب بالأسـاس.

أمّـا القـراءة الثانيـة فهي قـراءة المتشـددين من فقهاء رجال دين وبعض المصلحين الآخرين وهي على غاية من الصرامة والشـدّة رغبة منهم في تطهير مـا تـسّرب إلى جوهـر الشريعة من زيـف وأباطيل عسـى أن تنهض أمّة الإسـلام وتنفـض عنها غبار التخلّـف والتقهقـر، ذلـك أنّ غيـاب التمييـز بين الكرامـة الربانيّـة والخارقة الشـيطانية يفتح المجال أمام الممارسـات الدخيلة باسم التصوف، وبناء على ما سـبق لعله مـن الضروريـة إعادة تقييـم وتقويم ظاهـرة الخـوارق من منطلـق علميّ دينـيّ متوازن يفرّق بين الكرامة الصادقة والانحراف الشـعوذيّ عـلاوة عـلى تعزيـز التكويـن العلمـي والشرعـي للمريدين والمشـائخ في مجال الطرق الصوفية ضمانا لتحصينهـم من الخرافة والانحـراف لأنّ التصوف يبقى أحـد أعمـدة الروحانيـة الإسـلاميّة ولذلك تحتّمـت حمايتـه مـن التوظيفـات الخاطئـة وهومـا يقتضي ويفترض يقظة نقدية وأخلاقيّة متواصلة.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

## الخاتـــــــــمة

أخلـص في خاتمـة هـذا المقـال إلى جملـة مـن الاستنتاجات والتوصيات :

إنّ التصـوف الطرقي عمومـا قد كان ولا يزال محـلّ انتقـاد عديـد الاتجاهـات الدينية وأنّ مسـألة الخوارق في التصوف كانت بدورها تسـتبطن لدى هؤلاء خطر الانحراف عن جوهر التصوف الحقّ، وقد بيّنت في هذه الدراسة أنّ الظواهر الخوارقيّة هي ظواهـر إنسـانيّة على وجه العمـوم، فمهما اختلفت تسـمياتها بين الدينـيّ والعلمـي والأنتروبولوجي فإنّها تمثّل ظاهرة إنسانية كونية تتجاوز حدود الثقافة الواحدة وتعكس سعي الإنسان الدائم إلى تجاوز ما وراء الحسّ والعقل. وليسـت الخـوارق جديدة في المجتمعـات الإسـلاميّة ولكنّهـا امتـداد تاريخيّ في المتخيّـل الديني الإسـلامي إلا أنّ تبايـن القراءات الفقهيـة والعقلانيـة مـن جهـة والطرقيـة الصوفية من جهـة ثانية جعل منها موضوعا دائم التجاذب، وقد احتملت قراءتين متباينتين مختلفتين : إذ تعدّها الأولى دعما من الله للولي في الحياة وبعد المماة فيدافع عنهـا الصوفية ويضعونها في بـاب المعتقد الواجب الإقـرار به ويبالغ العامّة من الناس في التمسّـك بها إلى حـدّ تسرّب العديد مـن الافتراءات والأكاذيب والتهويـلات لحقيقة هذه الكرامـات وهو ما نجده في كتب المناقب بالأســـــــاس.

أمّـا القـراءة الثانيـة فهي قـراءة المتشـددين من فقهاء رجال دين وبعض المصلحين الآخرين وهي على غاية من الصرامة والشـدّة رغبة منهم في تطهير مـا تـسّرب إلى جوهـر الشريعة من زيـف وأباطيل عسـى أن تنهض أمّة الإسـلام وتنفـض عنها غبار التخلّـف والتقهقـر، ذلـك أنّ غيـاب التمييـز بين الكرامـة الربانيّـة والخارقة الشـيطانية يفتح المجال أمام الممارسات الدخيلة باسم التصوف.

وبنـاء عـلى مـا سـبق لعلّـه مـن الـضروريّ إعـادة تقييـم وتقويم ظاهـرة الخوارق مـن منطلق علمـيّ دينـيّ متوازن يفـرّق بين الكرامـة الصادقة والانحراف الشـعوذيّ علاوة عـلى تعزيز التكوين العلمـي والشرعـي للمريديـن والمشـائخ في مجـال الطـرق الصوفيـة ضمانـا لتحصينهـم مـن الخرافـة والانحـراف لأنّ التصـوف يبقـى أحـد أعمـدة الروحانيـة الإسـلاميّة ولذلـك تحتّمـت حمايته من التوظيفـات الخاطئة وهومـا يقتضي ويفترض يقظة نقديـة وأخلاقيّـة متواصلة مع إخضـاع النصوص المناقبيّـة للدراسـة النقديّـة الرصينـة و تشـجيع الدراسات الأكاديميّة المقارنة التي تدرس الظاهرة في سياقها الإنسـاني العام، بما يسهم في فهمها بعيدًا عن التهويل أو التهوين.

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**
**Info@baytalhikma.iq**

## الهوامـش

(١)الباراسكولوجيّا Para psychologie : هو علم ما وراء النفس أو علم النفس الموازي، هو علم قديم في ظواهره وقدراته جديد بمنهجه ووسائله وأساليبه،حول هذا العلم راجع :
Encyclopédie de l'histoire des théories psychologiques، Edition، Robert w.، Rieber.

(٢)العقل الباطن : ويسمّى أيضا اللاّواعي واللاّشعور وهو مفهوم يشير إلى مجموعة من العناصر التّي تتألّف منها الشخصيّة بعضها قد يعيه الفرد كجزء من تكوينه والبعض الآخر يبقى بمنأى كلّي عن الوعي، راجع في ما يتعلّق بالعقل الباطن : الدكتور جوزيف ميرفي Jojeph Murphy (الإيرلندي) «قوّة عقلك الباطن La puissance de votre subconscient »

(٣)مايكل شيرمر Michael Shermer : صحفي أمريكي مولود سنة ١٩٥٤ مختصّ في العلوم وتاريخها ومؤسسة جمعية الارتياب العلمي ورئيس تحرير مجلّة المتشكّك (Skeptic) التي تكرّس جهودها في التحقيق وكشف العلوم الزائفة وادّعاءات خوارق الطبيعة.

(4)Michael Shermer ; the believing Brain ; Times Books ;2011 ;P59.

(٥)دين راديـن Dean Radin: باحث أمريكي في علم النفس وعلوم الباراسيكولوجيا (الظواهر الخارقة) ولد سنة ١٩٥٢ واشتهر ببحوثه حول الاستبصار وتأثير الوعي على المادة.

(6)Radin ;the conscious Univserse ; Harperone ; 1997 ;3rd ed ;pp12-35.

(٧)باسكال بوير Pascal Boyer : هو أنتروبولوجي وعالم نفس فرنسي ولد في القرن العشرين في فرنسا وشغل خطّة مدير الأبحاث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي.

(8)Pascal boyer , Religion Explained : the evolutionary origins of religions thought, basic ; books, 2001 p 221 .

(٩)عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة، ط دار الكتب العلمية لبنان،٢٠٠٢،ص ١٠١.

(١٠)م. ن. ص ١٠١.

(١١) م. ن. ص ١٠٢.

(١٢) قرآن : سورة آل عمران (٣) الآية ٤٩.

(١٣)قرآن : سورة الإسراء (١٧) الآية ٨٨.

(١٤)أبو الحسن علي الجرجاني : التعريفات، ط. دار الكتب العلميّة، ببيروت لبنان، سنة ٢٠٠٠ م، ص ١٨٤.

(١٥)فقيه ومتكلّم أصولي أقرّ له أهل بغداد ونيسابور بالتّقدّم والفضل درّس بمدرسة ينسابور، وكان يلقّب بركن الدّين له تصانيف كثيرة منها : الجامع في وصول الدّين والرّد على الملحدين، توفّي بنيسابور سنة ٤١٨ هـ و قيل سنة ٤١٧ هـ.

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(١٦)عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية المعروفة : بالرسالة في رجال الطريقة أو الرسالة المباركة، ط. دار صادر. بيروت لبنان، ص ٢٣٥.

(١٧) عبد الرحمان ابن خلدون : م. س، ص ٢٣٦.

(١٨)تجدر الإشارة في هذا المقام إلى الخواطر والمكر عند الصوفيّة، فالخواطر جمع خاطر وهو ما يرد على القلب

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

بغتة دون اختيار ولا اجتهاد وقد صنّفوه بحسب المصدر إلى إلاهيّ وملكيّ ونفسيّ وشيطانيّ وقد حذّر الصوفيّة من الخلط بين الخواطر الإلاهيّة والشيطانيّة ودعوا إلى التفريق بين الفتح الربّانيّ والفتح الشيطانيّ، روى الشعرانيّ في الطبقات الكبرى أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني قال : تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني : يا عبد القادر أنا ربّك وقد حلّلت لك المحرّمات، فقلت اخسأ يا لعين فإذا ذلك النّور ظلام وتلك الصورة دخان ثمّ خاطبني يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بأمر ربّك وفقهك في أحوال منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلتُ : لله الفضل. (عبد الوهّاب الشعراني : الطبقات الكبرى، طبعة دار الفكر ١٩٩٩، ج ١، ص ١٧٩ ).

(١٩)عبد الكريم القشيري : م.س، ص ٢٣٦.

(٢٠)راجع بخصوص الغزالي والإسلام الصوفي : توفيق بن عامر، التّصوّف الاسلامي إلى القرن السادس الهجري، المركز القومي البيداغوجي، تونس، ١٩٩٨، من ص ٧١ إلى ص ٧٥.

(٢١)راجع : عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ طبعة دار الطليعة بيروت، لبنان، ٢٠٠١، ص ص ١٩٢-١٩٣.

(٢٢)الصادق الرزقي : الأغاني التونسيّة، الدار التونسيّة للنشر، تونس ١٩٦٧، ص ١٠١.

(٢٣)إبراهيم المازغني : بغية المريد لجوهرة التّوحيد (شرح لأرجوزة الشيخ ابراهيم اللقاني في علم العقيدة) المطبعة التونسيّة نهج سوق البلاط، تونس ١٣٥٧ه/ ١٩٣٨ م، ص ص ٧٩-٨٠.

(٢٤)انظر لطفي عيسى، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتّاريخ، ط دار سراس ١٩٩٣، ص ص ٩١-٩٢.

(٢٥) مناقب السيدة الجليلة العرفة بالله السيدة عائشة المنّوبية لمؤلف مجهول مخطوط رصيد المكتبة الوطنية بتونس، رقم ٨٩٠٦،الورقة ١٠ (أ) و (ب).

(٢٦)قرآن، سورة الزّمر (٣٩) الآية ٣٠.

(٢٧) قرآن سورة آل عمران (٣) الآية ١٤٤.

(٢٨)رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم.

(٢٩)علي حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج١، ص٢٦.

(٣٠) للتعمق في معنى الحقيقة المحمدية انظر: محمّد العزير بن زاكور: في رمزيات التصوف الطرقي بتونس ومؤسساته من بدايات القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين. طبعة دار كلمة للنشر تونس ٢٠٢٤. من ص ٤٢٤ الى ص ٤٥٤.

(٣١) علي حرازم : م.س،ج٢،ص٢٣٥-٢٣٨.

(٣٢) تقي الدّين أحمد بن تيميّة : قاعدة جليلة في التوّسل والوسيلة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٨١ ص٢٩.

(٣٣) راجع : محمد بن أبي القاسم الحميري، درّة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب ذي الكعب العلي والفخر الشامخ الجلي القطب الأكبر والغوث الأصغر سيدي علي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، المطبعة التونسية الرسمية، ١٣٠٤ه/ ١٨٨٦م ص ٥١.

(٣٤)انظر: مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ٤٢١٠ ورقة رقم ٣٤ وجه.

(٣٥) أمّ القرى في مدح خير الورى (القصيدة الهمزية ) تحقيق وتعليق الشيخ محمد الشاذلي النيفر، المطبعة العصرية تونس ص٦٣.

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**

**Info@baytalhikma.iq**

(٣٦) هو أحمد بن الحسن بن يحيى بن رفاعة الحسيني يرجع نسبة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وينسب إلى مدينة واسط فيلّقب بالواسطي وينسب إلى البطائح فيلقبّ البطائحي وينسب إلى جدّه رفاعة فيلقب بالرفاعي ولد بقرية عبيدة بالبصرة قرب واسط وهي أرض البطائح، انظر ترجمته في : أبو الهدى الصّيادي، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر بيروت ١٤٠١ه/ ١٩٨٠م ص ٣١ وما بعدها.

(٣٧) ابن بطوطة، هو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، ولد سنة ٧٠٣ه/ ١٣٠٤م بطنجة وهو رحّالة ومؤرّخ وقاضي من قبيلة لواتة لقب بأمير الرّحالين المسلمين خرج من طنجة وطاف بلاد المغرب والشام ومصر والحبشة والحجاز والعراق وبلاد فارس واليمن وعمان وتركستان وبعد الهند والصين وجاوة.....واتصل بكثير من الملوك والأمراء.

(٣٨) رحلة ابن بطوطة :ط دار صادر بيروت ط ١، ٢٠٠١، ص١٠٦-١٠٧.

(٣٩) م.ن ص١٠٧.

(٤٠)العيساوية نسبة إلى الشيخ محمد بن عيسى (ت٩٣٣ه/ ١٥٢٦م) وينتسب هذا الشيخ إلى إدريس الأصغر مؤسس مدينة فاس ابن إدريس الأكبر الذي تعود نسبته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، صاحب الشيخ محمد بن عيسى الشيخ محمد بن سلمان الحزولي فأخذ عنه الطريق بالعهد والصحبة إلى أن فتح الله عليه بالولاية كما تلقى المعرفة الصوفية عن الشيخ عبد العزيز التّباع انظر ترجمته في مختصر الشيخ أحمد بن المهدي الغزال في مناقب سيدي محمد بن عيسى، ط المكتبة العتيقة بتونس ١٣٤٩ه/ ١٩٣٠م.

(٤١) انظر مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط ٢ ١٩٧٨ص ٥٧.

(٤٢)عبد الرحمان بن خلدون: م.س ص ٥٥٥.

(٤٣) م. ن ص ٥٥٧.

(٤٤) الطاهر الرزقي: الأغاني التونسية، الدار التونسية للنشر تونس ١٩٦٧،ص ١٢٥.

(٤٥) ولد محمّد شاكر سنة ١٢٩٢ ه/ ١٨٧٥ م بصفاقس زاول تعليمه بجامع الزيتونة وحصل على التطويع سنة ١٣١٩ ه/ ١٩٠١ م وانتصب بصفاقس مدرّسا متطوّعا وكان في دروسه متحاملا على البدع والخرافات السائدة في المجتمع الطرقي وكان متأثّرا بالحركة الاصلاحيّة التّي تقودها مجلّة المنار وبينه وبين صاحبها رشيد رضا مراسلات، توفي سنة ١٣٨٣ ه/ ١٩٦٣م (حول ترجمته انظر : محمّد محفوظ، تراجم المؤلّفين، ط ١ دار العرب الإسلامي بيروت لبنان ١٩٨٦.

(٤٦) راجع : عبد العزيز الثعالبي، روح التّحرر في القرآن، نقله من الفرنسيّة حمادي الساحلي، راجعه بوضع حواشيه محمّد المختار السّلامي، ط دار العرب الإسلامي ١٩٨٥ من ص ٥٩ إلى ص ٧٢.

(٤٧) انظر كتاب المرآة لإظهار الضلالات، دراسة وتحقيق مختار الجبالي، ط ١، دار ابن حزم بيروت لبنان ١٤٣٠ ه/ ٢٠٠٩ م.

(٤٨) حول هذا الصراع بين الفقهاء والصوفية انظر : توفيق بن عامر، مواقف الفقهاء من الصوفية في الفكر الإسلامي، حوليات الجامعة التونسيّة عدد ٣٩، منشورات كلية الآداب بمنوبة ١٩٩٥.

(٤٩)عبد الرحمان بن الجوزي : تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي الطبعة ٢، ١٩٨٧ من ص ١٩٩ إلى ص ٤٤٦.

(٥٠)انظر : أحمد ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، طبعة دار الفضيلة الرياض المملكة العربية السعودية.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

(٥١) نظر : ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي : كتاب الاعتصام ط ١، ١٩٩٢ تحقيق سليم بن عبد الهلالي، دار ابن عفان المملكة العربية السعودية (الباب العاشر منه).

(٥٢)عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية، طبعة دار صادر بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٦٤.

(٥٣)أحمد زروق : قواعد التصوف، تحقيق وتقديم الشيخ عثمان الحويمدي، المطابع الموحدة تونس، ط ١، ١٩٨٧ ص ٧٧.

(٥٤)أحمد بن عياد الشافعي : المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، المطبعة الموحدة، تونس ١٩٨٦، ص ص ٩١-٩٢.

(٥٥) انظر : حمادي الرديسي وأسماء نويرة، الردّ على الوهابية في القرن التاسع عشر نصوص الغرب الإسلامي نموذجا، ط ١، دار الطليعة بيروت لبنان ٢٠٠٨، ص ١٣.

## قائمة المصادر والمراجع

**المصادر الأعجمية. :١**

١- Boyer Pascal‏ Religion explained‏ the evolutionary origins of religions‏ South basics.

٢- Encyclopédie de l’histoire des théories psychologiques‏ édition Robert W. Rieber.

٣- Murphy Joseph‏la puissance de votre subconscient‏

٤- ‏Radin‏ The conscious universe‏ Harperon ٣rd ed ١٩٧٧

٥- Shermer Michael‏ The believing Brain‏ Times book‏ ٢٠١١

المصادر العربية :٢-

القرآن الكريم.

ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة :ط دار صادر بيروت ط ١، ٢٠٠١، ١

٢- ابن تيميّة أحمد تقي الدّين: قاعدة جليلة في التوّسل والوسيلة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط٢.

ابن الجوزي عبد الرحمان: تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي الطبعة ٢، ١٩٨٧، ٣-

ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، ط دار الكتب العلمية لبنان، ٢٠٠٢، ٤-

٥-ابن زاكور محمد العزيز : في رمزيّات التصوف الطرقي بتونس ومؤسساته من بدايات القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين طبعة دار كلمة للنشر تونس سنة ٢٠٢٤

٦-ابن عامر توفيق : التّصوّف الاسلامي إلى القرن السادس الهجري، المركز القومي البيداغوجي، تونس، ١٩٩٨.

٧-ابن عامر توفيق : مواقف الفقهاء من الصوفية في الفكر الإسلامي، حوليات الجامعة التونسيّة عدد ٣٩، منشورات كلية الآداب بمنوبة ١٩٩٥.

٨-ابن عياد أحمد الشافعي : المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، المطبعة الموحدة، تونس ١٩٨٦.

٩-ابن موسى ابراهيم بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي : كتاب الاعتصام ط ١، ١٩٩٢ تحقيق سليم بن عبد الهلالي، دار ابن عفان المملكة العربية السعودية.

١٠-الثعالبي عبد العزيز : روح التّحرر في القرآن، نقله من الفرنسيّة حمادي الساحلي، راجعه بوضع حواشيه محمّد

**Semi-annual journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma**
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
**Issn.2224-0934**

**Info@baytalhikma.iq**

المختار السّلامي، ط دار العرب الإسلامي ١٩٨٥

١١-الجرجاني أبو الحسن علي: التعريفات، ط. دار الكتب العلميّة، ببيروت لبنان، سنة ٢٠٠٠ م

١٢-حرازم علي: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان،

١٣-الحميري محمد بن أبي القاسم : درّة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب ذي الكعب العلي والفخر الشامخ الجلي القطب الأكبر والغوث الأصغر سيدي علي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، المطبعة التونسية الرسمية، ١٣٠٤ه/ ١٨٨٦م.

الذهبي أحمد بن محمّد بن عثمان : سير أعلام النبلاء،، تحقيق شعيب الأرنؤوط.١٤-

١٥-الرديسي حمادي و نويرة أسماء، الردّ على الوهابية في القرن التاسع عشر نصوص الغرب الإسلامي نموذجا، ط ١، دار الطليعة بيروت لبنان ٢٠٠٨

الرزقي الصادق: الأغاني التونسيّة، الدار التونسيّة للنشر، تونس ١٦ ,١٩٦٧-

١٧-زروق أحمد: قواعد التصوف، تحقيق وتقديم الشيخ عثمان الحويمدي، المطابع الموحدة تونس، ط ١، ١٩٨٧.

١٨-الشعراني عبد الوهّاب: الطبقات الكبرى، طبعة دار الفكر ١٩٩٩، ج ١،

١٩-الصيادي أبو الهدى : قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر بيروت ١٤٠١ه/ ١٩٨٠م.

٢٠-عيسى لطفي، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتّاريخ، ط دار سراس ١٩٩٣،

٢١-الغزال بن المهدي أحمد : مناقب سيدي محمد بن عيسى، ط المكتبة العتيقة بتونس ١٣٤٩ه/ ١٩٣٠م.

٢٢-القشيري عبد الكريم: الرسالة القشيرية المعروفة : بالرسالة في رجال الطريقة أو الرسالة المباركة، ط. دار صادر. بيروت لبنان.

٢٣-المازغني إبراهيم: بغية المريد لجوهرة التّوحيد (شرح لأرجوزة الشيخ ابراهيم اللقاني في علم العقيدة) المطبعة التونسيّة نهج سوق البلاط، تونس ١٣٥٧ه/ ١٩٣٨ م.

محفوظ محمد : تراجم المؤلّفين، ط ١ دار العرب الإسلامي بيروت لبنان ٢٤ ,١٩٨٦-

مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط ٢ ٢٥ ,١٩٧٨-

مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ٤٢١٠ ورقة رقم ٣٤ وجه.٢٦-

٢٧-مؤلف مجهول : مناقب السيدة الجليلة العرفة بالله السيدة عائشة المنّوبية مخطوط رصيد المكتبة الوطنية بتونس، رقم ٨٩٠٦.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٨٢ لسنة ١٩٩٩
رقم الإيداع الدولي ISSN ٠٩٣٤-٢٢٢٤
info@bayalhikma.iq

# Miracles in Sufi Orders: Between Support and Criticism

DR. Mohammad AL Aziz Bin Zakor

## Abstract

The article addresses the issue of supernatural phenomena in Sufi orders between affirmation and denunciation, beginning with an analysis of the concept of the supernatural in its general human dimension and its specific Islamic context. It distinguishes between the prophetic miracle associated with prophethood and the saintly miracle attributed to the awliyāʾ. It presents the positions of supporters who consider saintly miracles as signs of spiritual authority and righteousness, drawing on hagiographical heritage and the legacy of Sufi orders. In contrast, it highlights the objections of jurists, certain reformist Sufis, and renaissance thinkers who regarded many supernatural claims as religious innovations, divine trial or deception, or charlatanism contradicting the essence of the Sharīʿah. It also shows that the phenomenon has a broad human and cultural extension; however, its inflation within the sphere of Sufi orders has produced wide theological and social debate. It concludes by emphasizing the necessity of a balanced scholarly approach that distinguishes between authentic saintly grace and superstitious deviation, in order to preserve the purity and original spirit of Sufism.

**Keywords**: Sufism، Supernaturalphenomena، Miracle، Saintly miracle، Charlatanism، Sufi orders ، Saint